

إشكالية المركزية الإثنية في حقل العلاقات الدولية: تحليل نظري

The Problematic of Ethnocentrism in International Relations Field : A Theoretical Analysisمحمد بوشكيوة¹¹ جامعة الجزائر 3، bouchekioua.mohammed@univ-alger3.dz

تاريخ النشر: 2024/04/15

تاريخ القبول: 2024/03/09

تاريخ الاستلام: 2024/01/16

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى دراسة المركزية الإثنية بوصفها ظاهرة مؤثرة على التنظير في حقل العلاقات الدولية، وبتعريف موجز هي نظرة الفرد للأشياء التي تكون فيها ثقافته هي المرجع، ومن ثمّ فالباحث في العلاقات الدولية قد يتأثر بتحيّزاته المعرفية أثناء عملية التنظير. يحاول المقال الإجابة عن المشاكل التي تسببها المركزية الإثنية وكيفية تجاوزها. ولتحقيق هذا المسعى، يبدأ المقال بالكشف عن مظهرات المركزية الإثنية و تحليل أسباب تشكلها، ووصولاً إلى محاولة إعطاء حلول لآثارها السلبية. ويستخدم المقال منهجية نقدية تركز على تحليل لمقولات منظرين ناقدين للمركزية الإثنية. ويحاول في جزئه الأخير اقتراح بعض الحلول أهمها أن تحاول نظريات العلاقات الدولية الانعتاق من المركزية الإثنية من خلال استخدام المنظرين للتأملية كمنهجية نقدية والتركيز على النسبية الثقافية. إضافة إلى محاولة العمل المشترك بين منظرين من خلفيات إثنية ونظرية مختلفة. كل هذا من شأنه أن يجعل حقل العلاقات الدولية حقلاً يتصف بالتعددية والتنوع.

كلمات مفتاحية: المركزية الإثنية، نظرية العلاقات الدولية، التأملية، الانعتاق، التنظير.

Abstract:

This article aims to study ethnocentrism as an influential phenomenon on theorizing in the field of international relations. Briefly defined, ethnic centrism is the individual's perspective in which their culture serves as the reference point. Consequently, researchers in international relations may be influenced by their cognitive biases during the theorizing process. The article attempts to address the problems caused

by ethnic centrism and how to overcome them. To achieve this goal, the article begins by revealing the manifestations of ethnocentrism and analyzing the reasons for its formation, culminating in an attempt to provide solutions to its negative effects. The article uses a critical methodology focusing on the analysis of statements from critical theorists of ethnocentrism. In its final part, it seeks to propose some solutions, the most important of which is for theories of international relations to emancipate themselves from ethnocentrism by using reflexivity as a critical methodology and focusing on cultural relativity. Additionally, it suggests collaboration between theorists from different ethnic backgrounds and theoretical perspectives. All of this is intended to make the field of international relations characterized by pluralism and diversity.

Keywords: Ethnocentrism; International Relations Theory; Reflexivity; Emancipation ; Theorizing.

المؤلف المرسل: بوشكيوة محمد ، bouchekioua.mohammed@univ-alger3.dz

مقدمة:

يمكن اعتبار العلاقات الدولية من بين الحقول الأكاديمية التي تتسم بزخم نظري لافت، فمنذ نشأته في بداية القرن العشرين، عرف الحقل ظهور نظريات كثيرة محاولة تفسير ما يحدث في النظام الدولي بمستوياته المختلفة (ما تحت الدول وما فوق الدول وما بين الدول). ولم تتوقف النقاشات النظرية عن البزوغ تارة والأفول تارة أخرى، وما فتئت النظريات تنبثق تباعاً، من المثالية إلى الواقعية فالليبرالية مروراً بالنظريات الجزئية التي ظهرت مع الثورة السلوكية ووصولاً إلى النظريات ما بعد الوضعية أو التأملية. ثم ما تبع ذلك من سجالات نظرية يسميها بعض الدارسين النقاش الخامس¹، والذي يصبو لإحجام نظرية التعقد في تحليل السياسة العالمية، كما أنه احتوى نقاشات تتعلق بإشكالات انبثقت عن التاريخ النظري الحافل للتخصص، من بينها إشكالية الهيمنة الغربية على الحقل.

وفي ثمانينيات القرن العشرين، تعالت أصوات تدعو إلى إعادة هيكلة الحقل النظري للعلاقات الدولية² وظهرت في العقود الأخيرة أدبيات تنتقد بشكل متزايد غياب نظريات غير غربية في حقل

العلاقات الدولية،³ ومن بين الأسباب التي عززت هذه الهيمنة يمكن أن نذكر المركزية الإثنية والتي تعني - باختصار يتم تفصيله لاحقاً - اعتبارَ الفرد ثقافته هي المرجع في الحكم على الآخرين.

يأتي هذا المقال لدراسة ظاهرة المركزية الإثنية بوصفها مفهوماً عابراً للتخصصات، بداية من الأنثروبولوجيا التي لا تعتبرها ظاهرة سلبية بشكل كلي، بل لها إيجابيات وسلبيات، ثم باقي العلوم الاجتماعية. ولكونه أحد حقول العلوم الاجتماعية، لم يكن حقل العلاقات الدولية استثناءً، فقد حازت المركزية الإثنية مساحةً من البحث من طرف الدارسين، وهذا ما يحاول المقال الكشف عنه من خلال الإجابة عن الإشكالية الآتية:

لماذا تمثل المركزية الإثنية مشكلة في حقل العلاقات الدولية؟ وما الصعوبات التي تحول دون تجاوز هذه المشكلة؟ وما الحلول المقترحة لذلك؟

للإجابة عن التساؤل السابق، يقوم المقال بتوصيف الظاهرة و تحليلها عبر استخدام منهجية نقدية تركز على تحليل مقولات منظرين ودارسين للعلاقات الدولية، لا سيما أولئك الذين قاموا بنقد المركزية الإثنية لاسيما الإثنية الغربية، و يتم ذلك من خلال المحاور التالية:

أولاً: مدخل مفاهيمي؛

ثانياً: مظاهر المركزية الإثنية في حقل العلاقات الدولية؛

ثالثاً: أسباب تشكل المركزية الإثنية في حقل للعلاقات الدولية؛

رابعاً: الحلول المقترحة للانعقاد من المركزية الإثنية.

أولاً: مدخل مفاهيمي

1. المركزية الإثنية

يبدو أنه من نافلة القول الإشارة إلى أن مفهوم المركزية الإثنية⁴ لا يحظى بالإجماع عند الدارسين، وهذا الأمر ينطبق على معظم المفاهيم في العلوم الاجتماعية. وقبل الخوض في أهم المعاني التي يحويها هذا المفهوم، يمكن البدء بتعريف المركزية أو التمركز. ينبع مفهوم المركزية من الدلالة المباشرة لكلمة Egocentricity أي التمركز حول الذات والتي تنطلق من الافتراض القائل بصواب وجهة النظر الذاتية، ولها صلة وثيقة بالأنانية المفرطة المصاحبة لمرحلة نمو الطفل، حيث أنه في مرحلة الطفولة يركز العالم في أنه، ويصعب عليه فهم الأشياء من غير منظاره الخاص.⁵ ويتم استخدام المركزية الإثنية للإشارة إلى المعاني التالية :

1.1 مصطلح لوصف مشاعر مركزية المجموعة وتفوقها

هذا هو المعنى الأصلي عندما تم تقديم المصطلح من قبل ويليام سومر William Sumner في كتابه "أساليب شعبية" عام 1906؛ فالمركزية الإثنية هي "الاسم التقني للنظرة للأشياء التي تكون فيها مجموعة الفرد هي مركز كل شيء، و كل الآخرين موزونون و مُقيّمون بالإحالة إليها".⁶ فبالنسبة لسومر، تمثل المركزية الإثنية تكيفاً براغماتياً للمجتمعات التي تواجه بيئة مكونة من كيانات متضاربة محتملة. ووفقاً له، فإن بقاء المجموعة يعتمد على قدرتها على توليد تلك المشاعر الضرورية لتعزيز السلام والتجانس داخلها، مع الحفاظ أيضاً على مستوى معين من التمييز تجاه الآخرين كنوع من آلية الدفاع عن النفس. وتشمل السمات المميزة للمركزية الإثنية بهذا المعنى ما يلي:⁷

- التماثل القوي مع مجموعة الفرد وثقافته؛
- الميل إلى رؤية المجموعة الخاصة به كمركز للكون؛
- الميل إلى إدراك الأحداث من حيث اهتمامات الفرد؛
- الميل إلى تفضيل طريقة حياة الفرد (الثقافة) على الآخرين (رؤيتها على أنها تنطوي على أفضل طرق التصرف الصحيحة، مع وجود تحيز ضد الجماعات الأخرى وطرق سلوكها)، والشك العام في الأجانب، وأنماط تفكيرهم. وبهذه المعاني، تعتبر المركزية الإثنية ظاهرة اجتماعية علمية.

2.1 مرادف لعبارة "مرتبط بالثقافة"

يشير كون المرء مرتبطاً بالثقافة إلى عدم قدرة الفرد أو المجموعة على رؤية العالم من خلال عيون مجموعة قومية أو عرقية مختلفة، أي أنه عدم القدرة على تنحية المواقف الثقافية الخاصة بالفرد جانباً وإعادة إنشاء العالم بشكل خيالي من منظور أولئك الذين ينتمون إلى مجموعة مختلفة، هذا يعني أنه يكاد يكون من المستحيل التعاطف مع الأجانب. إن كون الفرد مرتبطاً بالثقافة هو شرط ضروري لإدراك المركزية الإثنية، وفي بعض الأحيان يتم استخدام هذين المصطلحين (أي المركزية الإثنية والارتباط بالثقافة) بشكل مترادف. بهذا المعنى، مرة أخرى، تعتبر المركزية الإثنية ظاهرة علمية تقريباً.⁸

3.1 مصطلح تقني لوصف منهجية خاطئة في العلوم الاجتماعية

تنطوي المركزية الإثنية على إسقاط إطار مرجعي للفرد على الآخرين، إنه الميل إلى تقييم جوانب الثقافات الأخرى من حيث الثقافة الخاصة بالفرد، ومن ثم في أبحاث العلوم الاجتماعية لتطبيق معايير وقيم ثقافته الخاصة بطريقة متحيزة وغير مناسبة في دراسة وتحليل الثقافات الأخرى. وغالباً ما يكون هذا التحيز ناتجاً عن اعتقاد ضمني أو صريح بتفوق ثقافة الفرد. ويمكن القول أن لهذه التصورات المتمركزة حول الإثنية أهمية نظرية وعملية كبيرة في العلاقات الدولية.⁹

2 التأملية Reflexivity

التأملية (الانعكاسية التبادلية/الارتدادية)¹⁰ مصطلح يجمع بين معنى التفكير ومعنى الانعكاس، وعموماً يمكن تعريفه بأنه العملية الفكرية التي يسأل بها الشخص نفسه كأنه ينظر في المرأة، أو أن يُسألها غيره. وتكون المسألة حول أفعاله وخطاباته، وتؤدي هذه العملية إلى وعي الشخص أو الباحث Identité/Altérité بالأنا و الآخر.

فالتأملية فعل إنساني واجتماعي يختبره جميع البشر، ويمكن أن يوقفه الشعور بامتلاك سلطة قوية. هذا الشعور يتطور في شتى مناحي الحياة الاجتماعية، ويكون ذلك غالباً في الدين والسياسة والتعليم والبحث العلمي. ويتجلى ذلك في استغلال السلطات الدينية والسياسية للتربية والعلوم تارةً لخدمة أجندة معينة وتسييسها تارة أخرى، إضافة إلى أن القناعات على اختلافها تقوم بتوجيه أنشطة التدريس والبحث حتى دون وعي بذلك وهنا يأتي دور التأملية.¹¹

يعرف ميليا كوركي Milja Kurki وكولن وايت Colin Wight التأملية بأنها الفعل التبادلي بين الدارس أو المشاهد والظاهرة التي يدرسها.¹²

وفي المجال الأكاديمي يمكن تعريف التأملية بأنها مجموعة الممارسات التعاونية والمستمرة ومتعددة الأوجه، والتي من خلالها يقوم الباحثون بنقد وتقييم مدى تأثير ذواتهم أو ذاتيتهم والسياق الذي يعملون فيه على عملية البحث.¹³

ويمكن شرح عناصر التعريف السابق كما يلي:

تعاونية: أي أن العملية التأملية يجب أن تكون ضمن كامل الفريق البحثي.

مستمرة: تستمر على مدى فترة البحث ومراحلها.

متعددة الأوجه: أي الانتباه بصورة نقدية إلى مختلف العوامل المؤثرة على مسار البحث كالعوامل المنهجية والشخصية والسياقية.

فالتأملية عموماً هي وعي الباحث بشكل نقدي بكل مراحل البحث بهدف التخلص من التحيزات المعرفية¹⁴ وهذا ما يجعله منتبها للعوامل التي يمكن أن تؤثر على مسار البحث.

ثانياً: مظاهر المركزية الإثنية في حقل العلاقات الدولية

يؤكد برتراند راسل في كتابه النظرة العلمية على فكرة مفادها أنه:

"...عند الغالبية الساحقة من البشر، ستحظى أي قضية بالقبول إذا تم تكرارها على نحو يثبتها في الذاكرة. فمعظم ما نصدقُه إنما نصدقُه لأننا سمعناه مُؤكِّداً؛ ولسنا نذكر أين ولماذا تم تأكيده، ولذا نعجز عن النقد حتى لو قام بالتوكيد منتفعٌ بتصديقنا، وحتى لو كان القول غير مؤيَّد بأي دليل على الإطلاق".¹⁵

قد ينطبق هذا الأمر على المجال الأكاديمي، ولا سيما على العلوم الاجتماعية التي لا تتسم بالدقة الموجودة في العلوم الطبيعية؛ فتأثير التحيزات على الباحث يظل ذا هامش كبير. وفي حقل العلاقات الدولية تظهر المركزية الإثنية في أشكال وأبعاد متعددة، أهمها:

1. تجاهل الآخر غير الغربي

يُعنى به عدم الاكتراث بمعرفة تجربة الآخر وعدم بذل أي جهد للقيام بذلك، وهي النزعة الأكثر شيوعاً. يمكن أن يُفهم هذا المعنى من خلال ما أشار إليه روبرت كيوهان Robert Keohane بأنه متأسف لاقتصره، في كتابه، على دراسات باللغة الإنجليزية وأنه ليس مطلعاً بما يكفي على الأعمال

المنشورة في مكان آخر، وأن هذا الأمر يجعل من عمله محدوداً، وأن كل هذا يجعل من حقل العلاقات الدولية ذا طابع أمريكي.¹⁶

توجد عدة أمثلة في هذا الاتجاه، ليس فقط النظريات السائدة كـ"الواقعية الجديدة" و"الليبرالية الجديدة"، بل يلاحظ ذلك في الدراسات الإستراتيجية التي تعتبر أساساً دراسة للأمن القومي الأمريكي. وكذلك تعتبر الحرب الباردة سلاماً طويلاً الأمد في كتابات كنيث وولتز¹⁷ وغيره على أساس أن نظام الثنائية القطبية هو الأكثر توازناً وأنه يضمن الاستقرار دولياً، رغم أن في هذا تجاهلاً كبيراً لحقيقة أن هذه الفترة كانت مليئة بالحروب وبالضحايا في بلدان كثيرة كفيتنام، وكوريا، وأفغانستان، وإيران، والعراق، والهند، وباكستان.

وعلى عكس روبرت كيوهان، لا يعترف رواد التيار السائد (الواقعية الجديدة والليبرالية الجديدة) بوجود مركزية إثنية أو غربية في حقل العلاقات الدولية، ويبدو أنهم غير مهتمين بهذا حتى وإن تظاهروا بالدعوة إلى خطاب أكاديمي تحرري يؤدي إلى دعم العلماء المهمشين في الحقل.

2 الميل إلى تقييم الأعمال النظرية غير الغربية من منطلق التقاليد الغربية

يتمثل الشكل الثاني من مظهرات المركزية الإثنية في الميل نحو النظر إلى السياسة الدولية من منظار الكتلة التي ينتمي إليها الباحث، أو - بتعبير الأنثروبولوجيين - الميل إلى تقييم الثقافات الأخرى من منطلق ثقافة الباحث، (وهي في هذه الحالة منظومة النشر العلمي في المجالات، ومعايير القبول، ولغة النشر، وكذا المناهج وغيرها).¹⁸ وأوضح مثال على ذلك هو النقاشات حول العنف الجماعي والأمن في العالم الثالث، حيث يتم تغيب وجهات النظر المحلية، وبدلاً من ذلك يتم تفضيل تفسيرات القوى العظمى، ويتم التعامل مع المبادرات الدبلوماسية والعسكرية وفق المصالح المتضاربة للقوى العظمى سياسياً واقتصادياً وأيديولوجياً.¹⁹ إن هذا التمظهر يمكن ملاحظته عند منطري الردع الذين يرون أن قادة العالم الثالث غير مؤهلين لامتلاك الأسلحة ولا سيما النووية، وهذا لاعتقادهم بأنهم يفتقرون لشرط العقلانية، لأنهم يتصفون بالبداوة والبربرية ولا يمكنهم امتلاك وإدارة الأسلحة النووية بأمان خلافاً لقادة العالم الأبيض المتحضر. ولا يرتاب كل باحث منصف في كون هذه النظرة عنصرية.²⁰

ثالثاً: أسباب تشكل المركزية الإثنية في الحقل الأكاديمي للعلاقات الدولية

إن حقل العلاقات الدولية علم اجتماعي لا يتشارك فيه الباحث والشخص الخاضع للدراسة نفس الثقافة. في الواقع، يمكن لأبحاث العلاقات الدولية أن تتبنى ثلاثة أنماط مختلفة فيما يتعلق بالعلاقة بين ثقافة الباحث وثقافة موضوع دراسته وهي كالتالي:

- يمكن للباحث دراسة أشياء من ثقافات "وثيقة الصلة" (نشأت على سبيل المثال من نفس المنطقة التي ينتمي إليها الباحث)؛

- يمكن للباحث دراسة أشياء من ثقافات "بعيدة" (نشأت على سبيل المثال من مناطق إقليمية أخرى)؛
- يمكن للباحث دراسة الأنظمة المختلطة مثل النظام العالمي (بما في ذلك الثقافات المتشابهة والبعيدة).

توجد عدة أسباب تكمن وراء المركزية الإثنية عموماً و المركزية الغربية خصوصاً في تخصص العلاقات الدولية، ولعل أهمها: المعنى المستشكل للنظرية، وتوزيع القوة وإنتاج المعرفة، والأساطير التأسيسية، ومتلازمة كولومبوس.

1. المعنى المستشكل للنظرية

لفهم هذه الجزئية يمكن الاعتماد على العمل الرائد لأميتاب أشاريا Amitab Acharya وباري بوزان Barry Buzan اللذين توجب عليهما- في سياق البحث عن إسهامات نظرية غير غربية في العلاقات الدولية- أن يضعوا معايير دقيقة ومحددة لما يمكن أن يسمى "نظرية في العلاقات الدولية". وقد قاما بوضع الشروط التالية لما يمكن أن يعتبر إسهاماً نظرياً:²¹

- أن يتم الاعتراف به بشكل كبير من قبل الآخرين في المجتمع الأكاديمي للعلاقات الدولية على أنه نظرية؛
- أنه تم تعريفه ذاتياً من قبل منشئيه على أنه نظرية في العلاقات الدولية، حتى لو لم يتم الاعتراف بذلك على نطاق واسع داخل التيار الأكاديمي السائد؛
- أن بناءه النظري يُعرّفه على أنه محاولة منهجية للتعميم حول الموضوع أو حول العلاقات الدولية، سواء تم الإقرار به في المجتمع العلمي أم لا.

من المهم أن تكون في ذهن الدارس فكرة عما تعنيه "النظرية" في العلاقات الدولية؛ وقد يبدو ذلك بديهياً للوهلة الأولى، بيد أنه سؤال إشكالي بسبب الانقسام بين الفهم الوضعي الصارم للنظرية السائد في الولايات المتحدة والفهم التأملي الأكثر ليونة للنظرية الموجود على نطاق أوسع في أوروبا.²²

يحدد مارتن هوليس Martin Hollis وستيف سميث Steve Smith - في مؤلفهما المستخدم على نطاق واسع حول الفهم والتفسير - الاختلاف القائم بين الرؤيتين على النحو التالي: يستخدم العديد من الأوروبيين مصطلح النظرية لأي شيء ينظم المجال بشكل منهجي، ويضع الأسئلة ويؤسس مجموعة متماسكة وصارمة من المفاهيم والفئات المترابطة. بينما يتطلب التقليد الأمريكي المهيم عادة تعريف تلك النظرية بمصطلحات وضعية. فالنظرية تحدد المصطلحات في شكل عملي، ثم تحدد وتشرح العلاقات بين الأسباب والنتائج. ويجب أن يحتوي هذا النوع من النظرية فرضيات قابلة للاختبار ذات طبيعة سببية أو أن يكون قادرًا على إنشاء هذه الفرضيات.²³

تتمحور النظرية حول التجريد بعيدًا عن حقائق الأحداث اليومية في محاولة للعثور على أنماط، وتجميع الأحداث معًا في مجموعات وفئات من الأشياء. لذلك فإن جوهر النظرية هو تبسيط الواقع، إذ تبدأ من الافتراض القائل بأن كل حدث ليس فريدًا، ولكن يمكن تجميعه مع أحداث أخرى تشترك في بعض أوجه التشابه المهمة. وبهذا الشكل يكون لكل تنافس على السلطة (أو مسار تطور، أو حرب أو إمبراطورية، إلخ) بعض الميزات الفريدة وبعض الميزات التي تشترك فيها مع الآخرين من هذا النوع. بهذا المعنى، يمكن القول بأن النظرية الاجتماعية هي عكس التاريخ. فعندما يسعى المؤرخون إلى شرح كل مجموعة من الأحداث بمصطلحاتها الخاصة، يبحث المنظرون الاجتماعيون عن تفسيرات / تفاهات أكثر عمومية تنطبق على العديد من الحالات الموزعة عبر المكان والزمان. بالنسبة للمؤرخين، فإن الهدف هو الحصول على أفضل تفسير ممكن لمجموعة معينة من الأحداث. بالنسبة للمنظرين، الهدف هو العثور على أقوى التفسيرات التي يمكن فيها لعدد صغير من العوامل أن يفسر عددًا كبيرًا من الحالات. ويعبر وولتز Waltz عن هذا النوع من النظرية بقوله "إن البنية الفوضوية تجعل توزيع القدرات مفتاحًا لفهم الأنماط الرئيسية للعلاقات الدولية لجميع التاريخ المسجل".²⁴

تساهم فكرة النظرية في العلاقات الدولية في النزعة الإثنية؛ فالنظرية بعد كل شيء هي بحث عن التماسك. ومن الواضح أن الأنطولوجيا الأضيق (مثل الإثنية) تخدم أهداف النظرية.²⁵ وغالبًا ما يفوق البحث عن التماسك النظري السعي إلى الانعتاق والعالمية. وفي هذا الاتجاه، يؤكد نيكولا أوناف أنه إذا كان التماسك في العلاقات الدولية نتاجًا للرعاية الأنجلو-أمريكية، فقد لا تتحقق المثل العليا للتخصص والعالمية أبدًا.²⁶

2. توزيع القوة وإنتاج المعرفة

إن العلاقات الدولية هي حقل أكاديمي وهذا يعني أنها توفر إجابات للواقع الذي تهدف إلى معالجته. ويترتب على ذلك أن النقاش الرئيسي يجب أن يركز على تطوير النظريات والأساليب والأدوات المناسبة لفهم العلاقات السببية بين المتغيرات وتقديم إجابات مفهومة للأسئلة المطروحة في المقام الأول. إذ لا يختلف تطوير النظريات وتوحيد العمليات المنهجية في جوهرها عن الإجراءات المتبعة في العلوم الطبيعية. وتساعد الفرضيات المؤكدة في بناء وتبرير الافتراضات الرئيسية لنظرية كبرى، ويجب أن تكون النظريات الكبرى أطرًا شبيهة بالمظلة القادرة على شرح أكبر عدد ممكن من الحالات من خلال افتراضاتها ومقترحاتها في ظل ظروف معينة خاضعة للرقابة. فبهذا المعنى، تسبق الرؤى النظرية واختبارها التجريبي التطبيق العملي. وبمجرد أن تنجو من عمليات الاختبار المنظمة علميًا، تصبح النظريات مجموعة أدوات جاهزة يمكن أن تخدم الهدف النهائي المتمثل في شرح الواقع العملي وأيضًا تقديم أدوات يدوية لتحليل المسارات المستقبلية للظواهر الاجتماعية.²⁷

تدور العلاقة بين المركزية الإثنية وإنتاج المعرفة في حقل العلاقات الدولية حول كيفية تأثير التحيزات المعرفية على إنشاء وتفسير المعرفة. في نظرية العلاقات الدولية يمكن أن تؤثر المركزية الإثنية على إنتاج المعرفة بعدة طرق:²⁸

- . اختيار المواضيع: قد تؤدي المركزية الإثنية إلى دفع العلماء للتركيز بشكل رئيسي على القضايا ذات الصلة بثقافتهم أو بلدهم، متجاهلين منظورات وتجارب الثقافات الأخرى
- . تفسير الأحداث: يمكن أن تؤدي التحيزات الإثنية إلى تفسير الأحداث العالمية من خلال عدسة قيم ومعايير ثقافة الشخص، مما قد يشوه فهم دوافع وأفعال الدول أو الجماعات الأخرى.
- . منهجيات البحث: قد تشكل افتراضات المركزية الإثنية المنهجيات المستخدمة في البحث، مما يؤدي إلى نهج متوافق أكثر مع سياق الثقافة الباحثة وأقل حساسية تجاه تنوع المنظورات في العلاقات الدولية.
- . التحقق من المعرفة: يمكن أن تؤثر المركزية الإثنية في المعايير المستخدمة للتحقق من المعرفة في هذا المجال، حيث يتم إعطاء الأولوية للنظريات والنتائج التي تؤكد التحيزات الثقافية القائمة بينما تتجاهل المنظورات الأخرى.

بشكل عام، إن تسليط الضوء على العلاقة بين المركزية الإثنية وإنتاج المعرفة في نظرية العلاقات الدولية يؤكد على أهمية التأملية في الاستفسار العلمي. 'ن إدراك التحيزات الإثنية وتخفيفها أمر بالغ الأهمية لإنتاج معرفة تعكس بدقة تعقيدات التفاعلات العالمية وتعزز فهمًا أعمق للثقافات المتعددة.

يتساءل كين بوث Ken Booth في معرض كلامه عن تطور الحقل منذ تأسيسه:

"كيف سيبدو التخصص اليوم ... إذا كانت أصوله مستمدة من حياة وعمل رجل أسود مثير للإعجاب، أو نسوي، أو مسعف، أو امرأة زعيمة من الزولو" ²⁹.

يُعتبر بوث من رواد العلاقات الدولية القلائل الذين يفكرون في مثل هذا السؤال، ورغم أنه ينتمي للإثنية المهيمنة فهذا مؤشر على مدى ضخامة المشكلة. و إجابةً على سؤاله، توصل بوث إلى نتيجة فحواها أن تأسيس مجال العلاقات الدولية من قبل ديفيد ديفيز David Davies بدلاً من رئيسة الزولو ليس من قبيل الصدفة، لأنه انعكس، و يستمر في التفكير في العلاقة بين توزيع القوة وإنتاج المعرفة في النظام العالمي المعاصر. ³⁰

وتعقياً على كلام بوث، يبدو أن المشكلة لا تكمن في عدم وجود نظرية للعلاقات الدولية مستمدة من تجربة السكان الأصليين غير الغربيين المثيرين للإعجاب أو الذين لا يتمتعون بالإعجاب، الحقيقة هي أنه لظالما وجدت رؤى يمكن اعتبارها "علاقات دولية" أو "شؤون العالم بأسره" بمصطلحات مختلفة بشكل ملحوظ عن تلك الموجودة في الجامعات الغربية. فالبراهمة، والمسلمون، والصينيون المتمركزون حول الذات لديهم نظرتهم التي يمكن أن تدعي أنها مثيرة للاهتمام، ومن وجهة نظرها الخاصة، أهما نظريات "دقيقة" عن الشؤون العالمية. لكن المشكلة هي أن نظريات مرغانو Morgenthau و وولتز وغيرهما من المنظرين الغربيين هي فقط المعترف بها على هذا النحو. وقد يكون لهذا علاقة بمتلازمة كولومبوس.

3. متلازمة كولومبوس

هي خلل عقلي يجعل الإنسان يعتقد بأنه اكتشف مكاناً يعيش فيه بالفعل أشخاص. وغالباً ما يأخذ الأشخاص المصابون بهذه المتلازمة أشياء من الأشخاص الذين يعيشون هناك لأنهم يعتقدون أنهم مجرد كذبة. وكذلك يفعلون ما يريدون للأشخاص الذين يعيشون هناك، لأن هذه المتلازمة تجعل المصاب يعتقد أن هؤلاء ليسوا بشرًا حقًا. وفي أحيانٍ كثيرة، يستحوذ الأشخاص المصابون بهذه المتلازمة على الممتلكات دون أن يلاحظوا حقًا الأشخاص الذين كانوا يستخدمونها بالفعل. ³¹

يبدو هذا الخلل متجليا في حالة اللقي الأثرية، حيث لا يزال يوجد أشخاص يعتقدون بعدم وجود سكان أصليين في أمريكا، وأن كولومبوس هو أول من وطئت قدماء تلك الأراضي. يُعدُّ أحد الاكتشافات الأنثروبولوجية في مكان يسمى كلوفيس في نيو مكسيكو بالولايات المتحدة الأمريكية خلفية مناسبة للتفكير في أصول نظرية العلاقات الدولية. ففي كلوفيس، اكتشف الباحثون دليلاً على البشر الأوائل في العالم الجديد، وهو قطع أثرية تعود إلى 11000 عام.³² لم تكن الأهمية الحقيقية لهذا الاكتشاف منصباً حول إعادة إشعال الجدل حول من هم الأمريكيون الأوائل حقاً؛ ولكن بدلاً من ذلك، كانت بداية "شرطة كلوفيس"، التي وصفها البعض بأنها تضمناً فراداً يحاولون القضاء على الفكرة الهرطقية التي تقول إن البشرية راسخة منذ زمن طويل في الأمريكتين، قبل وقت طويل من عام 1492، عندما أبحر كولومبوس في المحيط الأزرق.³³

يرى أميتاب أشاريا أن الجدل حول هوية الأمريكيين الأوائل يشبه السؤال "من هم أول المنظرين؟" ويؤكد أنه يوجد تشابه مزعج بين شرطة كلوفيس ومجتمع علماء العلاقات الدولية الذين يحكمون التخصص من خلال أفكارهم وأدواتهم (مثل المجالات، وتحرير سلسلة الدراسات المرموقة، والمواقف التي تمكنهم من تجنيد الطلاب وتقديم المنح). في حين أنه لم يعد يُنظر إلى العلاقات الدولية على أنها "علم اجتماعي أمريكي" على الرغم من أنها لا تزال إلى حد كبير "علم اجتماعي غربي" فإن الأدبيات النظرية لا توفر سوى قدر ضئيل من الاعتراف والاعتبار للمنظرين والرؤى النظرية من خلفيات غير غربية.³⁴ ورغم الفصول التاريخية التمهيدية للعديد من الكتب المدرسية حول العلاقات الدولية، والتي تتناول تطور النظام الدولي، قد تتضمن قسمًا عن الصين أو الهند، وبعض الاقتباسات من كوتيليا Kautilya أو كونفوشيوس Confucius أو سان تزو Sun Tzu فإن هذا الاعتراف بالمساهمات غير الغربية يتوقف عندما ينتقل الباحث إلى مناقشة المزيد من القضايا المعاصرة مثل السلطة والاعتماد المتبادل والهيمنة، في هذه الحالة تبرز هيمنة رؤى المنظرين الغربيين، ومعظمهم من الأمريكيين. وعليه، فعندما يتعلق الأمر بالعلاقات الدولية، فإن كلام أشخاص نشأوا مثلاً في نيودلهي، أو في جاكارتا، أو في نيروبي، أو في القاهرة، أو في الجزائر، يصبح غير ذي مغزى أو غير جوهري. مع وجود استثناءات مثل إشارات إلى غاندي Gandhi في الأقسام التي تتناول دراسات السلام، أو إلى فانون Fanon في الخطابات المتعلقة بالتبعية. ولكن، يبدو أن الرسالة الضمنية هي أنه "بدون المنظرين الغربيين والتجربة الغربية، لن يوجد نظام للعلاقات الدولية".³⁵

4. الأساطير التأسيسية

فُرضت الحضارة الغربية على الثقافات الأخرى من خلال توسع وانتشار القوة الغربية. إذ حدث هذا بطرق مختلفة، مثل الاستعمار والسيطرة الاقتصادية والتدخل العسكري. فعلى سبيل المثال، خلال أواخر القرن التاسع عشر، استعمرت القوى الأوروبية الكثير من أراضي أفريقيا وآسيا وفرضت أنظمتها السياسية ولغاتها وقيمها الثقافية على السكان الأصليين. وإلى عهد قريب، تدخلت الولايات المتحدة عسكرياً في دول مثل العراق وأفغانستان بهدف نشر الديمقراطية والقيم الغربية. بالإضافة إلى ذلك، تبنت العديد من البلدان حول العالم أنظمة اقتصادية على النمط الغربي تعطي الأولوية للأسواق الحرة والفردية على القيم المجتمعية التقليدية.³⁶

لا يتردد غير الغربيين في الإشارة إلى الفجوات بين المبادئ الغربية والممارسة الغربية التي تتسم بالنفاق وازدواجية المعايير. ويذكر هنتنغتون أمثلة عديدة في هذا المجال؛ فتعزيز الديمقراطية أمر مطلوب، ولكنها تصبح مذمومة إذا أوصلت الأصوليين الإسلاميين إلى السلطة. ويتم التبشير بعدم انتشار الأسلحة النووية لإيران والعراق، ولكن ليس لإسرائيل؛ والتجارة الحرة هي إكسير النمو الاقتصادي، ولكن ليس في حالة الزراعة؛ وحقوق الإنسان تعتبر قضية مستشكلة مع الصين وليس مع السعودية؛ والعدوان على الكويتيين المالكين للنفط يتم صده بقوة هائلة، ولكن لا يتم ذلك عند العدوان على البوسنيين الذين ليس لهم نفط.³⁷

يعترف المنظرون الدوليون أحياناً بوجود مشكلة المركزية الإثنية ويأسفون عليها أحياناً، لكنهم نادراً ما يحاولون التغلب عليها في كتاباتهم. إن التمرکز الإثني في العلاقات الدولية ليس مفاجئاً، فالحقل ترجع جذور تأسيسه (وهي العام الشهير 1648 الذي عُقد فيه صلح وستفاليا) لأصول "النظام الدولي الحديث"، ومن ثم التأريخ لمصدر الكثير من التنظير حول العلاقات الدولية. ويتم التذكير باستمرار بأن النظام الدولي الحديث هو نظام الدول الأوروبية بشكل كبير، وأن العالم الذي نعيش فيه اليوم لا يتكون إلا من توسع المجتمع الدولي الأوروبي وعالميته.

5. الاغتراب

تخدم النظرية في العلاقات الدولية العديد من الغايات. فبالنسبة للعقلانيين، يتعلق الأمر بشرح سلوك الدولة والأحداث الدولية والتنبؤ بها. أما بالنسبة للمنظرين النقديين، فإن الغرض من النظرية هو الكشف عن الهيمنة. بالنسبة إلى مناهضي الوضعية، تدور النظرية حول البحث عن "مساحة تفكير".

لكن يمكن أن تكون النظرية أيضاً حول اكتشاف الذات أي أن مشروع الذهاب إلى النظرية هو رحلة في اكتشاف الذات.

يحدث الاغتراب عندما يقف المرء خارج تقاليد النظام، غير قادر على فهم الأساطير التأسيسية أو حتى الارتباط بها. ويبدأ الاغتراب عندما لا تجد المفاهيم الخاصة بكيفية تصور العالم وتنظيمه وإدارته مكاناً في العقيدة السائدة لحل العلاقات الدولية،³⁸ أو بين أولئك الذين يسعون إلى تحديها. فالاغتراب يحدث عندما يُطلب من الفرد أن يرى العالم من خلال منظور وولتزي أو غرامشي أو فوكوي بدلاً من منظور غاندي أو فانوني.³⁹

قد يتمكن طالب ما في العلاقات الدولية في الهند من معرفة القليل جداً عن الجدل بين البراديمات، ومن غير المرجح أن يكون قد سمع عن ما بعد البنيوية الفرنسية أو ما بعد الحداثة الغربية، ومن المرجح أن يكون قد قرأ وجهات نظر غاندي أو نهرو Nehru عن العالم أكثر من وجهة نظر فوكو Foucault، ومع ذلك تدعي نظرية العلاقات الدولية أنها تمثل طلاب العالم أجمع! يمكن لأي طالب أو باحث في العلاقات الدولية وغيرها أن يتساءل: هل النظرية مهمة؟ ولم يجب على الباحث استخدام النظريات؟ ولم التنظير في المقام الأول؟ وكيف يتم اختيار النظرية؟

يرى أميتاب أشاريا أن اختيار الباحث لنظرية معينة قد يكون لسبب عادي، بيد أن هذا نادراً ما يحدث. فالواقع على خلاف ذلك، فالنظرية مثل الموضة، خاصة بالجيل والوقت، كما أنها مرتبطة بالفضاء. ولا يتم اختيار النظرية لأنها تناشد غرائز المرء الطبيعية، ولكن لأنها تناسب الظروف الاجتماعية والمادية على أفضل وجه.⁴⁰

رابعاً: الحلول المقترحة للانعقاد من المركزية الإثنية

بغض النظر عن الجانب الإيجابي للمركزية الإثنية الذي تمت الإشارة إليه آنفاً، يسعى هذا المقال إلى اقتراح بعض الحلول للتخلص من الأثر السلبي لهذه الظاهرة. وقد قام العديد من الباحثين في العلوم الاجتماعية و العلاقات الدولية بشكل خاص، بإعطاء بعض الحلول لتحقيق هذا المطلب، وأهمها:

1. النسبية الثقافية

"النسبية الثقافية" هي الرأي القائل بأن المعايير الأخلاقية والاجتماعية تعكس السياق الثقافي الذي اشتقت منه. ويؤيد النسبيون الثقافيون أن الثقافات تختلف اختلافاً جوهرياً عن بعضها البعض، وكذلك تفعل الأطر

الأخلاقية التي تنظم العلاقات داخل المجتمعات المختلفة. وإذا كانت المركزية الإثنية هي "الحالة الطبيعية للبشرية"، فمن الواضح أن "النسبية الثقافية"، وهي الاتجاه المعاكس، ستكون مدعومة بشكل محدود. فـ"النسبية الثقافية" هي المقاربة التي يتم من خلالها إدراك ووصف الظواهر الاجتماعية والثقافية من منظور الانفصال العلمي على أنه من منظور المشاركين في ثقافة معينة أو أتباعها.⁴¹ يحاول المراقب أن يكون على حذر من تمييزه العرقي، ويحاول على الأقل تجاوزه أو القضاء عليه خلال فترة ملاحظته. لتحقيق مبدأ النسبية الثقافية، ينبغي على المراقب أن يستعمل الخيال والتعاطف حتى يتمكن من رؤية الآخرين كما يرون أنفسهم أو كما يرغبون في أن يُروا. ومع ذلك، لا يمكن للمراقب، من الناحية العملية، أن يقضي تمامًا على تكييفه الثقافي الخاص به، وبنية الأفكار والقيم التي ينقلها إليه.

إن التعامل مع المركزية الإثنية لا يعني التخلي عن المعايير الأخلاقية للفرد، ولا يمكن قبول الهولوكوست لأن النازيين اعتقدوا أنها فكرة جيدة. ولا تُقبل الآراء المتعصبة فقط لأن شخصاً ما عبّر عنها. إذ تظل انتهاكات حقوق الإنسان خاطئة، بغض النظر عن أعداء الجناة أو تفسيراتهم. ولا يمكن القبول بالنظريات الغربية فقط لأنها غربية المنشأ أو أوروبية الهوى، بل يجب تطبيق مهارات التفكير النقدي على جميع الأدلة التاريخية والثقافية والنظرية.

2. تطبيق المنهجية التأملية Reflexivity في النقد و البناء النظري

نجح علماء العلاقات الدولية النقدية في وضع التأملية على جدول الأعمال بناءً على الفرضية النظرية القائلة بأن الخطاب والمعرفة يلعبان دوراً اجتماعياً وسياسياً. ومع ذلك، غالباً ما يجد الأكاديميون أنفسهم في حيرة عندما يتعلق الأمر بتنفيذ التأملية بسبب الافتقار إلى المواد المنهجية والتربوية اللازمة، ويتم ذلك بتحويلها إلى منهجية نقدية للتغيير الاجتماعي وتوضيح كيفية دمج النزعة النقدية بشكل منهجي في البحث والكتابة.⁴²

من حيث تكوين المجموعات الإثنية، يمكن تطبيق التحليل بشكل تأملي Reflexive في أي وقت تحشد فيه التعريفات للتمييز بين مجموعة الانتماء (أي "نحن" أو المجموعة) والمجموعة المصنفة على أنها أجنبية بالنسبة لـ "نحن" (أي، "هم" أو المجموعة الخارجية). أحياناً يتم توضيح علامات الهوية هذه في الأدبيات التي تركز على التخصص. يمكن أن تشير هذه التعريفات إلى مجموعة كبيرة ومتنوعة من الوحدات الاجتماعية، مثل الشبكات غير الرسمية، أو المدارس الفكرية، أو التقاليد المؤسسية، أو المجتمعات الأكاديمية المحددة بقاسم مشترك، سواء أكان وطنياً أم إقليمياً، ضمناً أو صريحاً.⁴³

وقد أطلق روبرت كيوهين في خطابه الشهير أمام جمعية الدراسات الدولية (خطاب صار سيء السمعة الآن حسب كيليا كوركي وكولن وايت) اسم التأملية على المقاربات الناقدة (وهي النظريات النقدية والبنائية والنسوية للمقاربات) العقلانية (وهي الواقعية والليبرالية والماركسية)، وأشار كيوهين أن هذه المقاربات لا يمكن أن تساهم في التخصص إلا بعد أن تطور برنامجاً بحثياً حسب مفهوم لاكاتوش. وقد رأى العديد من التأمليين أن هذا الأمر ليس إلا مطالبة لهم بتبني نموذج العلوم الذي يلتزمه كيوهين والاتجاه السائد.⁴⁴

3. الاستفادة من الجانب الإيجابي للمركزية الإثنية

أيدت الأعمال الأكاديمية التي تلت كتاب سومر فكرة المركزية الإثنية لكونها ظاهرة معقدة تهدف إلى الدفاع عن مصالح المجموعة الخاصة. وتقبل الأدبيات، بشكل تحليلي، إلى التمييز بين عمليتين أساسيتين تشاركان في هذه الظاهرة؛ أولاً، المواقف والسلوك الموجه نحو مجموعة الانتماء (أي "مشاعر الانتماء")؛ وثانياً، تلك الموجهة نحو المجموعات الأخرى (أي "مشاعر المجموعة الخارجية"). يُنظر إلى التوازن بين مشاعر التقدير داخل المجموعة والمشاعر المهنية للمجموعة الخارجية على أنها ضرورية لدعم الوظائف الاجتماعية الأساسية مثل الثقة وانتقال القيم بين الأجيال والتنوع بين المجموعات. والجدير بالذكر أن الأدبيات المتخصصة حول المركزية الإثنية قد فصلت نفسها بشكل فعال عن التركيز فقط على الجانب التمييزي للمركزية الإثنية. ربما يرجع ذلك إلى أن العلماء قد ربطوا منذ فترة طويلة الجوانب التمييزية للنزعة الإثنية - السبب الرئيسي للنقد في المفهوم - بالفوائد أيضاً. على سبيل المثال، يوضح كلود ليفي شتراوس أن المركزية العرقية هي عنصر أساسي في التقدم البشري، وذلك أساساً لأنها تحافظ على مسافة معينة بين الجماعات.⁴⁵ هذه المسافة تمكنت من الحفاظ على الحد الأدنى من التنوع الذي يجعل التبادلات ذات مغزى والتقدم تراكمياً قدر الإمكان، على حد تعبير ليفي شتراوس.⁴⁶ بهذه الطريقة، من خلال العمل كحماية ضد التجانس، تمثل المركزية الإثنية أداة تهدف إلى الحفاظ على التنوع الاجتماعي والمعرفي، نظرًا لأنها تساهم في الدفاع عن إرث المجموعة والحفاظ على التنوع بين المجموعات، فقد تم اعتبار المركزية العرقية في كثير من الأحيان (ولكن ليس دائماً) ظاهرة مفيدة ومشروعة في الأنثروبولوجيا. وتصبح المركزية الإثنية متغيراً مقنعاً يجب مراعاته عند دراسة ظروف التنوع الأكاديمي.

وبناءً على ذلك، فإن السؤال ليس كيفية قمع المركزية الإثنية، ولكن بالأحرى كيفية تعديل التصورات تجاه المجموعات الداخلية والخارجية من أجل تحقيق التوازن بين مستوى التأثير والتبادل بين المجموعات المختلفة.

4. النظرية التحررية أو الانعتاقية

يقصد بالنظرية التحررية أو الانعتاقية Emancipatory Theory النظرية التي لا تسعى فقط إلى توسيع آفاق العلاقات الدولية، ومقاومة استبعاد بعض الفئات الاجتماعية (مثل النساء) وبعض القضايا مثل البيئة، ولكن أيضاً تلك التي تقاوم جميع أشكال المركزية، بما في ذلك الإثنية. إن نفور بعض الدارسين للعلاقات الدولية و الذين يطلق عليهم اسم "المتطفلين" أو "Gatecrashers"⁴⁷ من أي شيء يشبه السياسة إلى حد بعيد له عاقبة مؤسفة تتمثل في إحداث عدم اهتمام بدفع قضية الانعتاق إلى الأمام. ولذلك يجب أن تتجاوز النظرية الانعتاقية للعلاقات الدولية نقد الافتراضات المعرفية والمنهجية للنظريات التقليدية وتثبت مطالبها بالتطبيق العملي. كما لا ينبغي أن تقتصر النقاشات الحقيقية حول نظرية العلاقات الدولية على "مساحة التفكير" فقط، بل ينبغي أن يصل النقاش إلى تناول الإستراتيجيات والأجندات التي تعزز تحول النظام العالمي.⁴⁸

5. محاولة العمل المشترك بين منظرين من إثنيات مختلفة

تؤثر الخلفية الشخصية للباحث في توجيه الأسئلة التي يطرحها وكذلك الأجوبة عن هذه الأسئلة من خلال النظريات التي يبنیها، كما أن التجارب المعيشة تؤثر على البحث والتأويل. وهذا ما يؤكد ديفيد لايك⁴⁹ ويجادل بأن هذا الأمر ينطبق على تخصص العلاقات الدولية وعلم السياسة والعلوم الاجتماعية بصفة عامة. فاهتمام الباحث بأسئلة محددة يقابله إهمال لأسئلة أخرى تبدو له غير مهمة ويقابله أيضاً عدم اختبار لنظريات أخرى لا تتماشى مع حدسه.

يؤدي التنوع في التجارب الشخصية في الوسط الأكاديمي داخل الحقل إلى توسيع فهم الباحثين للعالم، كما أن التعايش وتبادل الخبرات و الأفكار بين باحثين من إثنيات مختلفة وخلفيات نظرية متنوعة من شأنه أن يساهم في تحييد التحيزات الشخصية. ويؤكد ديفيد لايك على أن فهمه للسياسة العالمية سيكون أعمق في حالة العمل مع باحثين يختلفون عنه في التجارب الحياتية.

خاتمة

تعتبر ظاهرة المركزية الإثنية ظاهرة اجتماعية جديدة بالبحث، حيث كانت بداية الدراسات في مجال الأنثروبوجيا، ثم ما لبثت أن صارت موضوعاً للدراسة عابراً للتخصصات. وقد كان لها نصيب من بحوث العلاقات الدولية لا سيما في العقود الأخيرة.

تؤدي "المركزية الإثنية" في حقل العلاقات الدولية إلى عدم الاكتراث بمعرفة ما ينتجه غير الغربيين من نظريات وعدم بذل أي جهد للقيام بذلك. وقد يعترض أحدهم بأنه لا توجد نظريات غير غربية، أما الحقيقة فإنها موجودة، غير أنها مُعَيَّنة لأسباب عديدة تتعلق أساساً بأبعاد بنيوية (الأساطير التأسيسية للتخصص، علاقة التنظير وإنتاج المعرفة بعناصر القوة وإشكالية ما يمكن أن يطلق عليه لفظ نظرية)، بالإضافة إلى ما يسمى بمتلازمة كولومبوس.

كما يمكن الاستفادة من الجانب الإيجابي للمركزية الإثنية بشكل متوازن على هذا النحو: يمكن للباحث أن يفضل ممارساته ومعرفته، لكن عليه أن يتقبل بكل سرور أن الآخرين سيفضلون ممارساتهم الخاصة أيضاً، لأنه من خلال ثقفتهم تلك سيكون الفرد قادراً على تحدي الأعراف الخاصة به.

ومن خلال ما تم تحليله آنفاً في هذه الورقة البحثية، يصير بالإمكان اقتراح بعض الحلول بهدف الانعتاق من المركزية الإثنية، وأهمها: تطبيق المنهجية التأملية في النقد، وإضفاء الصبغة الانعتاقية على النظرية، والاهتمام بالنسبية الثقافية، إضافة إلى محاولة العمل المشترك بين منظرين من خلفيات إثنية ونظرية مختلفة. كل هذه الجهود بما فيها هذه الورقة البحثية، تصب في مسعى أكبر، وهو جعل التخصص الأكاديمي للعلاقات الدولية تخصصاً يتصف بالتعددية و التنوع Diversity.

التهميش:

¹ حمشي محمد، النقاش الخامس في حقل العلاقات الدولية ، (Doctoral dissertation, UB1)،(2017).

² أنظر للمزيد:

Cox, R. W. (1981). Social forces, states and world orders: beyond international relations theory. *Millennium*, 10(2), 126-155 ; Ashley, R. K. (1987). The geopolitics of geopolitical space: toward a critical social theory of international politics. *Alternatives*, 12(4), 403-434 ;

Hoffmann, S. (1987). The Rules of the Game. *Ethics & International Affairs*, 1, 37-51.

³ Miles Kahler, "International Relations: Still an American Social Science?" in Linda. B. Miller and Michael J. Smith (eds.), *Ideas and Ideals: Essays on Politics in Honor of Stanley Hoffmann*, Boulder, Colo: Westview, 1993; Steve Smith, "The Discipline of International Relations: Still an American Social Science?" *British Journal of Politics and International Relations* 2(3): 2000, 374-402; Robert Crawford and Darryl S. Jarvis (eds.), *International Relations – Still an American Social Science? Toward Diversity in International Thought*, Albany, NY: State University of NY Press, 2001; Jörg Friedrichs, "International Relations: Still an American Social Science?" in his (author), *European Approaches to International Relations Theory: A House with Many Mansions*, USA: Routledge, 2004; Stephen M. Walt, "Is IR Still 'an American Social Science?'" *Foreign Policy Issue* June 6, 2011 ; J. Ann Tickner, "Dealing with Difference: Problems and Possibilities for Dialogue in International Relations," *Millennium* 39(3): 2011, 607-618; Gunther Hellmann, "International Relations as a Field of Studies," in Badie, B., Berg-Schlosser, D. and Morlino, L. (eds.), *International Encyclopedia of Political Science*, London: Sage, 2011.

⁴ أول من صك كلمة ethnocentrism هو ويليام سومنر عام 1906 في كتابه "أساليب شعبية"، وقد استخدمت كلمات لترجمتها إلى العربية مثل "استعرافية" و "مركزية عرقية" و "مركز عرقي" و "مركزية إثنية" و "مركز إثني". وتنبغي الإشارة إلى أن بعض الباحثين يفرقون بين الإثنية و العرق على اعتبار الإثنية تحمل بعدا ثقافيا بينما العرق يحمل بعدا بيولوجيا. في هذا المقال سيتم استخدام كل هذه المصطلحات بمعنى واحد.

⁵ الحبابي مُجد عزيز، مفاهيم مبهمة في الفكر العربي المعاصر، القاهرة، دار المعارف، 1990، ص204.

⁶ Sumner, W. G., *Folkways*, Boston : Ginn, 1906, p13.

⁷ Booth, K. (2014). *Strategy and ethnocentrism*, New York : Routledge revivals, 1979, p15.

⁸ Ibid

⁹ Ibid

¹⁰ المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، غريفيش، مارتن و أوكالاها، تيري، مركز الخليج للأبحاث، دبي،

2008، ص 39.

¹¹ Blanchet, P. (2009). La réflexivité comme condition et comme objectif d'une recherche scientifique humaine et sociale. *Cahiers de sociolinguistique*, (1), 145.

¹² دان تيم، كوركي ميليا وسميث ستيف، نظريات العلاقات الدولية التخصص و التنوع، ت. ديماء الخضراء، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ص 92.

¹³ See :

Olmos-Vega, F. M., Stalmeijer, R. E., Varpio, L., & Kahlke, R. (2023). A practical guide to reflexivity in qualitative research: AMEE Guide No. 149. *Medical teacher*, 45(3), 241-251.

¹⁴ التحيزات المعرفية هي تصرفات أو ميول معرفية منهجية في التفكير والاستدلال البشري والتي غالبًا لا تتوافق مع مبادئ المنطق والاستدلال الاحتمالي والمعقولة. وهذه الميول البديهية واللاواعية هي أساس الحكم البشري واتخاذ القرار والسلوك. أنظر:

Korteling, J. E., & Toet, A. (2022). Cognitive biases. *Encyclopedia of Behavioral Neuroscience*,, p 610.

¹⁵ راسل برتراند، النظرة العلمية، ت. نويه عثمان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015، ص 230.

¹⁶ Keohane, Robert, "Theory of World Politics : Structural Realism and Beyond ", in Robert O. Keohane, ed. *International Institutions and State Power : Essays in International Relations Theory*, Boulder : Westview Press. 198), 2020, p67 ; Hoffmann, S. (1977). An American Social Science: International Relations. *Daedalus*, 106(3), 41–60.

¹⁷ Waltz, Kenneth N., *The Stability of the Bipolar World*, *Daedalus*, 93 :3, 1964 ; Waltz, Kenneth N., *Theory of International Politics*, Reading :Addison Wesley, 1979.

¹⁸ لمزيد من التفصيل أنظر:

Tickner, A. B., & Wæver, O. (Eds.). (2009). *International relations scholarship around the world*. Routledge.

¹⁹ Rubinstein, Robert, "Collective Violence and Common Security", in Tim Ingold, ed., *Companion Encyclopedia to Anthropology*, London : Routledge, 1994, pp.983-1000.

²⁰ Subhramanyam, K, Nuclear Weapons and the Other in the Western Imagination, 1999, "Cultural Anthropology", 14 :1, pp. III-143.

²¹ Acharya, Amitav and BUZAN, Barry. Why is there no non-Western international relations theory? An introduction, in ACHARYA,

Amitav and BUZAN, eds., *Non-Western International Relations Theory : Perspectives on and beyond Asia*, London and New York, Routledge, 2010, p6.

²² Wæver, Ole (1998), 'The Sociology of a Not So International Discipline: American and European Developments in International Relations', *International Organization*, vol. 52, no. 4, pp. 687–727.

²³ Hollis, Martin and Steve Smith (1990), *Explaining and Understanding International Relations*, Clarendon Press, Oxford.

²⁴ Acharya, Amitav and Buzan, Barry. Op. Cit., p4.

²⁵ يصبح هذا الوصف أكثر وضوحاً عند المقارنة بين النظريات الجزئية (كنظرية الردع) و النظريات الكلية أو التي تزعم أنها كلية (كالواقعية والليبرالية)، فالنظريات الجزئية هي الأكثر تماسكاً في بنائها النظري.

²⁶ William Olson and Nicholas Onuf, "The Growth of a Discipline," in Steve Smith, ed., *International Relations: British and American Perspectives* (New York: Blackwell, 1985), p18.

²⁷ Halistoprak, Burak Toygar. Knowledge production and its politicization within International Relations and Peace Studies. In : *Knowledge for Peace*. Edward Elgar Publishing, 2021. p. 22.

²⁸ للمزيد أنظر :

Guzzini, Stefano. "The Return of the 'Modern Prince': Critical Theory and International Relations." *Millennium: Journal of International Studies* 33, no. 3 (2005): 603-636.

Hall, Stuart. "The West and the Rest: Discourse and Power." In *Formations of Modernity*, edited by Stuart Hall and Bram Gieben, 185-225. Cambridge: Polity Press, 1992.

²⁹ Ken Booth, "75 Years On: Rewriting the Subject's Past - Reinventing its Future," in Steve Smith, Ken Booth, and Marysia Zalewski, eds., *International Theory: Postivism and Beyond* (Cambridge: Cambridge University Press, 1996, p330.

* الزولو هي أكبر مجموعة عرقية في جنوب أفريقيا.

³⁰ Ibid.

³¹ Definition of Christopher Columbus Syndrome, <https://definithing.com/christopher-columbus-syndrome/>, accessed in 25/04/2023.

³² Haynes, C. Vance et AGOGINO, George A. Prehistoric springs and geochronology of the Clovis site, New Mexico. *American Antiquity*, 1966, vol. 31, no 6, p. 812-821.

³³ ACHARYA, Amitav. Ethnocentrism and emancipatory IR theory. *DisPlacing Security: Critical Re-evaluations of the Boundaries of Security Studies*, 2000, p 7.

³⁴ Ibid, p 8.

³⁵ Ibid, p 9.

³⁶ Huntington, S. P., The West unique, not universal. *Foreign affairs*, Nov. - Dec., 1996, Vol. 75, No. 6 p 41.

³⁷ Ibid, p 40.

³⁸ يرمز غالبا ب IR للحقل الأكاديمي العلاقات الدولية بينما يُشار إلى العلاقات الدولية كممارسة ب ir . ويرمز لنظرية العلاقات الدولية باختصار ب IRT.

³⁹ نسبة إلى كل من (بالترتيب): كينيث وولتز، أنطونيو غرامشي، ميشيل فوكو (باعتبارهم مفكرين غربيين) مهاثما غاندي وفرونتز فانون (باعتبارهم مفكرين غير غربيين).

⁴⁰ Acharya, Amitav. Op.Cit., p.10.

⁴¹ Booth. Ken, Op. cit., pp.15-16.

⁴² Alejandro, Audrey. Reflexive discourse analysis: A methodology for the practice of reflexivity. *European Journal of International Relations*, 2021, vol. 27, no 1, p. 150.

⁴³ Alejandro, Audrey. Eurocentrism, Ethnocentrism, and Misery of Position: International Relations in Europe—A Problematic Oversight. *European Review of International Studies*, 2017, vol. 4, no 1, p.18.

⁴⁴ ميليا كوركي، مرجع سابق، ص 92.

⁴⁵ Claude Lévi-Strauss, Race and Culture, 1971, available at: <https://lesamisdebartleby.files.wordpress.com/2015/11/tc3a9lc3a9char-ger-le-fichier-race-et-culture.pdf> (Accessed 25 April 2023).

⁴⁶ Claude Lévi-Strauss, *Le Regard Éloigné* (Paris: Plon, 1983), p. 47.
⁴⁷ Gatecrashers أو المتطفلون، لغةً، يطلق على الأشخاص الذين يقتحمون المآدب والولائم دون أن تتم دعوتهم، والمقصود بهم في هذا السياق هم دارسو العلاقات الدولية غير الغربيين الذين يريدون دخول الحقل. ومن الواضح أنه اسم يريد الانتقاص منهم، وذلك لأن من أطلق عليهم هذا الاسم هم حماة البوابة أو Gatekeepers وهم منظرو الغرب المهيمن.

⁴⁸ Acharya, Amitav. Op.Cit., p. 11.

⁴⁹ Lake, D. A. (2016). White man's IR: An intellectual confession. *Perspectives on Politics*, 14(4), p1112.